الغيبة

الغيبة مرض عضال دب في المجتمع حتى أصبح المؤمن يخاف من أخيه لما يقع فيه من سوء الكلام والطعن في كرامته.

وكم خوّفنا الشرع الإسلامي من داء الغيبة، وإن أعظم نتائجها التفريق بين الجماعات، والإسلام حذّر من التفرقة، لأن يد الله مع الجماعة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: **«أتدرون ما الغيبة»**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«إذا ذكرت أخاك بما يكره فقد اغتبته»**، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**[1].

شرح الحديث:

المعلم والمربي الأول ﷺ يعلّمنا وينبهنا سائلاً أصحابه الكرام: ما الغيبة!!

فأجابوا بأدب وردُّوا العلم لله ورسوله.

فتبيَّن لهم أن الغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكره وتطعنه في غيبته وتستلذ بذكر مساوئه وإن كانت هذه صفاته، وإن لم يكن فيه هذا الخلق فقد بهته، والبهتان أشدّ.

الدليل القرآني

يأمرنا الله تعالى أن لا نتتبَّع عورات بعضنا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب

(١) رواه مسلم والترمذي.

obeikandi.com

بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجرَات، الآية: ١٢] ، وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر.

ولقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ، الآية: ٣٠] .

ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات، الآية: ١٢] .

قال سفيان: «الظن ظنان ظن فيه إثم وظن ليس فيه إثم، أما الظن الذي فيه إثم يُضمر ثم يتكلم به، وأما الظن الذي ليس فيه إثم فما يضمره ولا يتكلم به».

عقاب أهل الغيبة في الدنيا قبل الآخرة

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة، الآية: ١] أي الويل - وهو وادٍ في جهنم - للهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في وجهك.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على أناس بمكّة، فجعلوا يغمزون في قفاه فيقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، شكى رسول الله ﷺ إلى جبريل، فسأله جبريل عنهم، فأراه: الوليد بن المغيرة، الأسود بن عبد يغوث، الحارث بن عطيل السهمي، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب أبو زمعة، فأهلكهم جميعاً».

موت الوليد بن المغيرة

هو والد خالد بن الوليد رضي الله عنه، خرج الوليد بن المغيرة يتبختر في مشيته، حتى وقف على رجل يعمل بالسهام، فتعلق سهم في ثوبه، فلم ينقلب ليقذف بعيداً تعاظماً! فأخذ طرف ردائه ليجعله على كتفه، فأصاب السهم أكحله فقطعه، ثم لم ينقطع عنه الدم حتى مات.

موت الأسود بن عبد يغوث

أصيب في رأسه، فخرج من رأسه قروح فمات منها.

موت الحارث بن عطيل السهمي

أكل حوتاً مالحاً، فأصابه عطش شديد، فلم يزل يشرب حتى انقدَّ ـ أي انشقّ بطنه ـ فمات من مكانه.

موت العاص بن وائل

كان يخلج خلف رسول الله ﷺ ـ أي يرقص ويقوم بحركات استهزائية بأنفه وفمه، ويمشي خلفه ويسخر به ـ فخرج في يوم مطير على راحلة مع اثنين من أولاده، فنزل شعباً من الشعاب، فلما نزل على الأرض قال: لُدغتُ، فطلبوا فلم يجدوا شيئاً! فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه، وقالوا: لدغته الأرض.

موت الأسود بن عبد المطلب (أبو زمعة)

عُمي قبل أن يموت. نَزَل تحت شجرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني، قد هلكت كأن شوك في عيني!! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. فأنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحِجر، الآية: ٩٥].

لم لا نشم رائحة الغيبة في زماننا

روي عن جابر رضي الله عنه، قال: هاجت ريح منتنه على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: **«إنّ ناساً من المنافقين قد اغتابوا ناساً من المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح المنتنة»**[1].

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟

---

(١) البخاري وأحمد.

قال: «لأن الغيبة قد كثرت في يومنا فامتلأت الأنوف منها فلم تتبين الرائحة وهي النتن».

يكون مثال ذلك: رجلٌ دخل دار الدباغين، لا يقدر على البقاء فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون فيها الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا.

عذاب أهل الغيبة في جهنم

عن شُفيّ بن ماتع الأصبحي، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعةٌ يؤذون أهل النار لما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، يقول بعض أهل النار لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجلٌ معلق على تابوت من جمرٍ، ورجلٌ يجرّ أمعاءَهُ، ورجلٌ يسيل فوهُ قيحاً ودماً ـ أي فمه ـ، ورجلٌ يأكل لحمه.**

فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد قد مات وفي عُنُقِهِ أموال الناس، ثم يقالُ للذي يجرّ أمعاءَهُ: ما بال الأبعدِ قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعدَ كان لا يبالي أين أصاب البولُ منه. ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعدِ قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعدَ كان ينظر إلى كلمةٍ فيستلِذُّها كما يُستلذّ الرفث، أي يتلذذ بالكلام الرذيل والفحش من الألفاظ، ثم يقال للذي يأكلُ لحمه: ما بال الأبعدِ قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعدَ كان يأكلُ لحومَ الناس بالغيبة، ويمشي بالنميمة»[1].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً، فيقول: يا رب أين حسنات كذا وكذا عملتُها ليست في صحيفتي؟ فيقول: محيت باغتيابك الناس**»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير بإسناده.
(٢) رواه الأصبهاني.

الأسباب الباعثة للغيبة

١ ـ أن يشفي الغيظ:

عن عيسى عليه السلام أنه قال: «إذا رأيت قساوةً في قلبك، ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك».

ولا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، والقلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون.

٢ ـ موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم، وأنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه، ونفروا منه، فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حمى عِرض أخيه في الدنيا، بعث الله ﷻ ملكاً يوم القيامة يحميه من النار**»(١).

٣ ـ إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره، فيقول: فلان جاهل، وفهمهُ ركيك غرضه أن يظهر نفسه، ويريهم أنه هو أفضل.

وذكر عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: «إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة، فيرى فيه حسنات لم يكن يعملها، فيقول: يا رب من أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابكَ النّاس وأنت لا تشعر».

٤ ـ الحسد في ثناء الناس على شخصٍ وحبهم له وإكرامهم، فيقدح فيه لقصد زوال ذلك عنه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»(٢).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا.

(٢) رواه أبو داود والبيهقي.

قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التَّقيّ النَّقي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غِلَّ ولا حسد**»(١).

٥ ـ اللعب والهزل، فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة، حتى أن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها أهل المجلس، تهوي به ـ أي في النار ـ أبعد ما بين السماء والأرض، وإن الرجل ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه**»(٢).

أي يقع في جهنم من لسانه أكثر ما يقع مما تزل به من الخطايا.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عرج بي مررت بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(٣).

عُذِّبَ في المنام

روى خالد الربيعي قال: كنت في المسجد الجامع، فاغتابوا رجلاً، فنهيتهم عن ذلك فكفوا، ثم اغتابوا آخر، فدخلت معهم في شيءٍ من أمره، وتكلمت معهم في هذا الرجل، فرأيت تلك الليلة في المنام: كأني أتاني رجلٌ أسود طويل، ومعه طبقٌ عليه قطعةٌ من لحم خنزير، فقال لي: كل، فقلت: آكل لحم خنزير؟ والله لا آكله، فانتهرني انتهاراً شديداً، وقال: قد أكلتَ ما هو أشدّ منه، فجعل يديه في فمي حتى استيقظت من منامي، فوالله

(١) رواه ابن ماجه، بإسناد صحيح، والبيهقي.
(٢) رواه البيهقي.
(٣) رواه أبو داود، وقال بعضهم: مرسلاً.

لقد مكثت ثلاثين يوماً، أو أربعين يوماً ما أكلت طعاماً إلا وجدتُ طعم ذلك اللحم ونتنه في فمي.

الأعذار المرخصة في الغيبة

١ ـ التظلّم: فإن للمظلوم أن يذكر الظالم إذا ظلمه عند من يستوفي حقّه وينصره، روي عن النبي ﷺ قال: «**اذكروا الفاجر بما فيه لكي يحذره الناس**»(١).

٢ ـ الاستفتاء: مثل أن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أخذ حقّي، فكيف طريقي في الخلاص، فالتعيين مباح، والأولى التعريض، أي لا يذكر اسمه، يقول: ما قولك في رجلٍ ظلمه أبوه أو أخوه أو نحو ذلك.

روي أن هند بنت عتبة، قالت يا رسول الله ﷺ: «إنّ أبا سفيان رجل شحيحٌ بخيل» قال عليه الصلاة والسلام: «**خذي ما يكفيك**».

٣ ـ أن يكون معرفاً بلقب: كالأعرج أو الأعمش فلا إثم عليه على من يذكره به بدون قصد التعييب أو السخرية. لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ [عَبَسَ: الآيتان ١، ٢].

٤ ـ أن يكون مجاهراً بالفسق، ولا يتكف أن يذكر به.

روي عن النبي ﷺ قال: «**من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له**».

عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍ تسلم من قبل أن تندم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أكثر خطأ ابن آدم في لسانه**»(٢).

كفارة الغيبة

أما كفارة الغيبة، فاعلم أن المغتاب قد جنى جناية:

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى.
(٢) رواه الطبراني.

ـ حقّ الله تعالى فكفارته التوبة والندم والاستغفار، روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: إذا تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا، وأنسى مقامه من الأرض وأنسى مقامه من السماء ليجيء يوم القيامة، وليس شيءٌ من الخلق يشهد عليه بذلك[1].

ـ حق المخلوق، إذا كانت الغيبة بلغت الرجل جاء إليه، واستحله وأظهر له الندم على فعلها، قال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير، وكذلك وإن كان قد مات.

روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من مالٍ أو عرضٍ فليأته فليستحلها منه قبل أن يؤخذ وليس عنده درهمٌ ولا دينار، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته، فأعطيها هذا، وإلا أخذ من سيئات هذا فألقي عليه**».

ومن لم يعلم أنك اغتبته، استغفر له ولا تخبره بما لا يعلمه فيوغر صدره، وقد ورد في الحديث: «**كفارة من اغتيب أن يستغفر له**».

نبي يؤمر بالهروب من الغيبة

قال الفقيه: سمعت أن الأنبياء لم يكونوا مرسلين ﷺ، بل كانوا يرون في المنام ما يطلب منهم، وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئاً.

كان نبي من الأنبياء ممن يرى في المنام، رأى ذات ليلة في المنام قيل له: إذا أصبحت، فأول شيء يستقبلك فكله، والثاني اكتمه، والثالث اقبله، والرابع لا تؤيسه، والخامس اهرب منه.

فلما أصبح كان أول شيء استقبله جبلٌ أسود عظيم، فوقف وتحيّر، وقال: أمرني ربي أن آكل هذا، ثم رجع إلى نفسه وقال: إن ربي لا يأمرني

(١) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب.

بما لا أطيق، فلما عزم على أكله، ومشى إليه ليأكله، فكلما دنا منه صغر ذلك الجبل، فلما انتهى إليه، وجده لقمةً أحلى من العسل، فأكله وحمد الله تعالى.

فاستقبله طستٌ من ذهب، وقال: أمرت بأن أكتمه، فحفر بئراً في الأرض ودفنه فيها، ومضى فإذا الطست على وجه الأرض.

فاستقبله طائر خلفه بازي يريد أن يأخذه ـ أي يهرب من عدوه ـ فقال: يا نبي الله أغثني فقبله.

فجاء البازي فقال: يا نبي الله إني كنت جائعاً، فلحقت هذا الطائر، واختبأ عندك، فلا تؤيسني من رزقي ـ أي تمنع عني أكله ـ فقال في نفسه: إني أمرتُ أن أقبل الثالث، وهو الطائر وقد قبلته، وأمرت أن لا أؤيس الرابع، والرابع هذا البازي فكيف أصنع؟ فلما تحير أخذ السكين، وقطع من فخذه قطعة من لحمه فرمى بها إلى البازي حتى إذا أخذها ومضى، ثم أرسل الطائر يطير.

فرأى الخامس جيفةً منتنة فهرب منها.

فلما أمسى قال: يا رب قد فعلت ما أمرتني فبين لي ما كان من أمر هذه الأشياء، فرأى في منامه أنه قيل له:

أما الأول الذي أكلته: فهو الغضب، يكون في الأول كالجبل، وهو في آخره إذا صبر وكظم غيظه أحلى من العسل، والثاني: فهو من عمل حسنةً فإن كتمها فإنها تظهر، والثالث: من استأمنك بأمانة فلا تخنه، والرابع: فإذا سألك إنسانٌ حاجةً فاجتهد في قضائها وإن كنت محتاجاً إليها، والخامس: الغيبة، فاهرب من الذين يغتابون الناس، والله أعلم.

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ الإسلام حضّ على الجماعة، والارتباط الأسري بين الأهل والأقارب، والغيبة والنميمة هي الأساس الأول لهدم هذه العلاقات،

والغيبة هي التي تدعو الإنسان ليراقب هفوات غيره ليسخر بها.

٢ ـ بالغيبة يشتغل الإنسان بعيوب غيره، وينسى عيوب نفسه، ويقلل من شأن غيره ليرفع من شأن نفسه، وكل هذا من النفس الأمارة بالسوء.

٣ ـ وكم يغفل الإنسان عن العقاب يوم الحساب من شدة حساب أهل الغيبة عند الله ﷻ، فجعل ﷻ عقابهم أكل لحم أخيه ميتاً جيفة، ومن طبيعة الإنسان أن ينفر من الرائحة الكريهة فكيف بأكلها!!

إن الله ﷻ أنذر ووعد الويل ثم الويل لمن لا يطبِّق شرع الله ﷻ.

obeikandl.com